

الفصل الرابع - المبحث الثاني

دائبين على بلورته وإزاحة العقبات من طريقه، فالبعض متحمس للعصيان الشامل المفتوح الذي يمكن أن يضع حداً للوثبة الوطنية في أسابيع، في أحسن التقديرات، وهذا لا يغير شيئاً في الصراع مع عدو عنصري كولونيالي وكان يمكن أن يحسم الموقف لو كان الصراع طبقياً ضد نظام قمعي على الطريقة البلشفية أو الخمينية...

واللافت أن بعض الأصوات تتحمس مرة للعصيان الشامل وتحدث مرة أخرى عن تعبير الانتفاضة سياسياً، وكأنها غيرت ميزان القوى وباتت الأوضاع جاهزة لقطف الثمرة... وربما أن المنطق الداخلي لهؤلاء يقول: عصيان - استثمار، حتى أن أحد رفاقنا المركزيين في الخارج تحمس لما جاء في تعميمنا السابق عن مجموعات الإزعاج والمقاومة الإسبانية التي طردت المستعمر الفرنسي، فاتكأ عليه للقول: إن الانتفاضة قادرة على طرد الاحتلال...

مطلوب عمق أكبر يذهب إلى ما هو تحت السطح. من الضروري الابتعاد عن الخفة فالانتفاضة في بداياتها، وقد دفعت الجماهير للخطوط الأمامية، و«القتال» سيكون ضرورياً ومريراً، قبل أن يتراجع الاحتلال خطوة واحدة، فما بالكم أن يعترف بحقوقنا تمهيداً لدحره... وهذا لا يكون إلا عندما تصبح خسائره كثيرة وأرباحه قليلة، أي عكس المعادلة القائمة على الأرض، لقد سرق وطننا بأكمله وكل يوم يستقطع المزيد من أرضنا وينهب اقتصادنا ومياهنا ويستغل بصورة مضاعفة عمالنا... وهو يبني قواعد عسكرية ثابتة في أراضينا...

السذاجة قد تفيد أحياناً في العلاقات الاجتماعية، أما في السياسة فهي مدمرة. وقد تعاملنا بسذاجة مع بداية الاستيطان الاستعماري في أواخر القرن التاسع عشر، وواجهناه ببعض التضاللات في العشرينات ولكن ذلك لم يمنعه من أن يصبح قوة اقتصادية وثلاث السكان في الثلاثينات وأن يقتلنا من منازلنا ويشرّد شعبنا في الأربعينات...

إنه رأس حربة وخنق متقدم للمشروع الإمبريالي، والصراع معه عملية تاريخية طويلة، وحانت لحظة يمكن أن نحرز فيها نجاحات، ولكن علينا تعزيزها بمزيد من النجاحات والصلابة والتشبث بالأهداف، وهذا يتطلب فيما يتطلب نبذ الأوهام من البيت الداخلي الفلسطيني كيلا تتحول لتصدعات، على طريقة «لعم» وما حاول تسويقه أحد رجالات العاصمة في تونس «بالقبول بالانتخابات البلدية التي توقف الاستيطان» علماً أن التفكير الإسرائيلي يسعى لتفطيسنا في الانتخابات دون أي تعهد بوقف الاستيطان، بل للتغطية على الاستيطان وإجهاض الانتفاض الشعبي. فاتجاه الضربة لدى حكومة العدو وحليفها الاستراتيجي الإدارة الأمريكية هو احتواء